التجنِّى على الوفد ورئيسه

انتهى الناس بفطرتهم السليمة إلى الحكم بأنَّ تلك الأحاديث التى نشرتها جريدة «الأهرام» الغراء فى الأسبوعين الماضيين إنما قصد بها إلى مجرد شغل الأذهان وصرف الأمة عن الحاضر بالحديث عن الماضى. وانتهى الناس أيضًا إلى أنَّ تلك الأحاديث فى سداها ولحمتها تجنٍ على الوفد ورئيسه ليس الأوان تصوير زعيم البلاد بأنه يظهر لمواطنيه بوجه، وللإنجليز بوجه آخر حديث لا يثمر ولا يفيد. والحق أنَّ فطرة المصريين السليمة كانت هى دائمًا الفيصل فيما شجر بين الوفد وخصومه من خلاف والناس قد درجوا على أن يحكموا عقولهم وينظروا للأمور ببساطةٍ ويجردوها من أساليب السياسة ووسائلها.

وهذه الأحاديث التى نسب فيها لزعيم مصر أنه فى محادثاته مع الفيلد مرشال سليم قد ساير أو لاين ليست لونًا جديدًا من ألوان محاربة الوفد ولا هى اختراع حديث، فهى من الأساليب القديمة البالية التى استعملت مع سعد طيب الله ثراه ولم تفلح، بل زادت الناس إيمانًا بزعامته وتمسكًا بقيادته وعرفانًا بإخلاصه ووطنيته.

وسيجد القراء فى القصة الآتية التى استند فيها إلي الذاكرة التى منحنى الله إياها والحمد الجزيل له سبحانه وتعالى على ذلك. سيجد القراء فى هذه القصة صورة قديمة مطابقة لما احتوته أحاديث «الأهرام». كأنما خصوم الوفد وخصوم زعيمى الراحل والحالى قد تواصوا على التجنىِّ على هذين الزعيمين.

حادث سعد ملنر فى سنة 1920 فى لندن وتناول الطرفان كل نقط الخلاف فى

جلسات عدة، وبعد ذلك اتفقا على أن يضع كل منهما مشروعًا بما فهم من روح المحادثات.

ولقد سمعت من «سعد» أنه عمد إلى التلكؤ فى تقديم مشروعه حتى يتقدم «ملنر» بمشروعه.

وكان يحدثنا بأنه التزم فى هذا خطة المحامين ينتظر المحامى مذكرة زميله حتى يجد المجال متسعًا للفكر والرأى والنقد، وأخيرًا قدَّم ملنر مشروعًا وبعد ذلك قدَّم «سعد» مشروعه.

وكان الأحرار الدستوريون فى مصر قد بدأوا يكونون أنفسهم كحزبٍ مخاصمٍ لسعد وللوفد فحاربتهما بكل قوة.

ولست أذكر على وجه التحديد أوقع ما سأرويه فى سنة 1921 أو سنة 1923 إنما هو قد وقع على كل حال و«سعد» فى مصر، وغالب الظن أنه كان فى سنة 1923.

وفى السرادق الدائم الذى كان قائمًا فى فناء دار السياسة بشارع المبتديان والذى كان الخطباء من الأحرار الدستوريين ينهضون يوميًا لمهاجمة «سعد» من فوق منبره وقف حضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا وألقى خطابًا قرر فيه صراحة أنَّ سعدًا ذو وجهين وأنه يقابل الشعب المصرى بوجهٍ، والإنجليز بوجه آخر (مثلما يقال اليوم تمامًا عن خليفته) ودلل سعادة الخطيب على قوله بأنَّ «سعدًا» قدم لملنر مشروعًا كان خيرًا للإنجليز من مشروع ملنر وشرًا على مصر من مشروع ملنر. وكنت لا أزال محاميًا حرًا من قيود الوظيفة وكنت أكتب فى الجرائد الوفدية مدافعًا عن الوفد وسياسته فكتبت أناقش سعادة الخطيب العظيم فى منطق سهل سليم.

ومما قلته لسعادته نقضًا لدعواه أنه لو صح ما زعمه فلم لم يسارع ملنر إلى قبول مشروع سعد وكان بذلك يلزمه الحجة ويأخذه بما خطت يداه.

ودخلت فى المساء على سعد فى مكتبه فاستقبلنى ببشاشته مثنيًا على ما كتبت وكان مما قاله إنَّ من أصعب الأمور الجدل فى البديهيات. وطلب أن تستحضر كراسة معينة من مذكراته ودفع بها إلى لا نقل من مشروعه الذى قدمه لملنر لأجادل عن بينة فى مقال تالٍ خطيب الأحرار ولأقارن بين النصوص فأزيد الناس للحق بيانًا وإيضاحًا ففعلت.

تلك رواية تضاهى تمامًا أحاديث الأهرام التى شغلت بها الناس فى هذه الأيام، فهى تدور حول أنَّ مصطفى النحاس كان يقابل الإنجليز بوجه ويظهر للشعب بوجه.

وهكذا يرى الناس أنَّ خصوم الوفد تشابهت قلوبهم وعقولهم وتفكيرهم كما تشابهت وسائلهم فى محاربة الوفد وزعيمه سواء أكان سعد أم مصطفى النحاس ولكنها وسائل عتيقة وبالية لا تنفع ولا تفيد وهى لن تنتج إلا زيادة فى الالتفاف حول الوفد وزعيمه.

فلا يرهقن خصوم الوفد اليوم أنفسهم كما أرهق خصوم له فى الماضى أنفسهم.

وأولى بنا جميعًا أن نفكر فى حاضرنا ومستقبلنا بعد أن وقفت قافلة البلاد عن المسير. واطمأن المستعمر وبات قرير العين مطمئن البال مرتاح الضمير.